الاحتلال ، بل تدفع الى انشاء المجتمع الجديد . وهي ستفجرها لانها تفرض على العربي المشارك فيها ، مباشرة او غير مباشرة ، ارتباطات وانتماءات سياسية وايديولوجيـة وتجارب نفسية واخلاقية وقواعد سلوكية يومية لا تنسجم مع الارتباطات والانتماءات وقواعد السلوك التقليدية ، وتؤدي ضمنـا ، على الاقل ، الـى تفتيت هذه الاخيرة وانهيارها .

الولاءات والانتماءات التي كانت تسود سلوك العربي هي أساسيا ومن ناحية عامة انتماءات وولاءات عائلية وقبلية ومحلية ودينية ، وليست طبقية او حتى عربية او قومية. الوحدة العائلية أو العشائرية كانت الوحدة التي تشكل قاعدة السلوك العربي طيلة قرون عديدة ، وتمتد جذورها الى تاريخ سحيق . أما الاطار العام الذي كانت ترتبط به هذه الوحدة والسلوك الذي يتفرع منها ، فكان دائما اطارا دينيا. هذا الاطار كان الاطار الذي كانت تتعاون فيه هذه الوحدات ، تحدد فيـه وبه مقاصدها العامة في الحياة ، وعلاقتها مع التاريخ .

ولكن مفهوم الامة والقومية برز واخذ يعمل في بسط ظله على المجتمع العربي بشكل غايته ان يحل محل تلك الوحدات والاطار الذي يعمل فيه . ثم ما لبث هذا المفهوم ان اقترن بمفهوم آخر جذري وثوري هو مفهوم الثورة الاجتماعية الذي اضاف الى المفهوم الاول ليس فقط فكرة تغيير النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، بل نوعا جديدا من الارتباط هو الارتباط الطبقي الثوري . هذه المفاهيم تعني ولاءات وانتماءات جديدة تعمل في ديالكتيكها الخاص على اقتلاع جذور الولاءات والانتماءات التقليدية. هذا التحول يعني صداما بين هذين النوعين من الولاءات والانتماءات ، يؤدي بدوره الى انفصام في المجتمع والدولة والانظمة المختلفـة ، وفي ذات الفرد نفسها ، يمهـد الطريق ويخلق الوضعية الملائمة لتجديد الفرد والمجتمع . ولكن كي يحدث ذلك على نطاق افقي وعمودي مناسب يجب ان تتفتت علاقات الفرد العربي العضوية بالوحدات الاجتماعية التقليدية. الحرب التحريرية اداة فعالة في هذا السبيل ، لذلك كان اي انحراف عنها انحرافا ليس فقط عن ضرورات تفرضها معركتنا ضد الصهيونية ، بل عن مقاصدنا الثورية كلها .

هذا التناقض هو ، بكلمة اخرى ، تناقض بين الثقافة التقليدية وبين الثقافة الحضارية الحديثة التي اخذت تغزوها . انه ، بكلمة توينبي ، اهم واقعـة في القرن العشرين ، وهو ، في أي شكل يعبر عن ذاته اولا ، سياسيا كان هذا الشكل ، أو تكنولوجيا ، أو اقتصاديا ، فلا مندوحة له من التحول الى تناقض اخلاقي وايديولوجي . انه حالة من التوتر بين مواقف ومفاهيم اخلاقية وفكرية وايديولوجية شاملة ، متناقضة ومتصارعة ، نتيجتها المحتومة هي غلبة المفاهيم والمواقف الحضارية الحديثة على المفاهيم والمواقف التقليدية .

ان الذات ، في ابعادها النفسية والعقلية تستمد غذائها ومقوماتها من العالم الخارجي ، من الاوضاع المختلفة التي تحيط بها مـن الخارج ، ومفاهيمنا السياسية والاجتماعية والاخلاقية والايديولوجيـة والميتافيزيقية نفسها تتفرع نهائيا مـن الواقع الموضوعي (Reality) . التكيف مع تحولات هذا الواقع يستلزم دائما وقتا ونفسا طويلين . ولكن عندما تهتز الاطارات العقلية والنفسية التي تجد فيها الذات التقليدية وحدتها ، اهتزازا ينتج عن علاقتها بتحولات جذرية تحدث في المحيط الخارجي ، تفقد هذه الذات قدرة الامساك بهذا الواقع ، قدرة توجيهه او التوجه فيه ، فتتخبط وتصبح في بلبلة ، وبذلك تخسر مقاصدها الفاعلية . هذا ما ابتدأ يحدث فعلا الآن في المجتمع العربي ، وفي كل مجتمع آسيوي آخر ، والنتائج هي واحدة متماثلة ، حالة من الضياع والبلبلة الاخلاقية والنفسية والايديولوجية .

نزع السلطة عن المفهوم الديني والرجعية التي تمثله ، تجريد الطبقات الاقطاعية من دورها الاقتصادي والسياسي، العائلة أو القبيلة من دورها واهميتها كالوحدة الاجتماعية